

اللغة ليست كأننا مستقلاً بذاتنا ...

ولكن أداة طبيعة في أيدي أبنائنا وتقدمها منوط بتقدمهم

الدكتور سليمان قطاينة

(حلب (سوريا)

فانتشار اللغة العربية على نطاق عالمي واسع ،
اذن تتعلق مباشرة بمدى تقدم ابنائها في ميادين
العلوم والفنون ومدى علاقاتهم بالأمم الأخرى .
ولكن ثمة عوائق تقف في وجه الاجنبي الذي
يود صادقا تعلم اللغة العربية ، منها :

1 - وجود لغة فصحي ، ولفات دارجة ،
تجعل الاجنبي في حيرة لاختيار الفصحى أم الدارجة ،
ماذا درس الاولى اصبح حبيس جدران المعاهد ،
وصديقا مجدا للمتعلمين والمثقفين العرب ، وان درس
الثانية بعد عن مصادر اللغة من كتب ومخطوطات .

2 - وحتى لو درس الفصحى فهو يدرس
اللغة القديمة لغة القرآن والمعلقات (وهذا ما يفعله
طلاب معهد اللغات الشرقية في باريس) وهي غير
اللغة الفصحى الحديثة .

3 - مشكلة الخط العربي وعدم ضبطه ضبطا
رقيقا من حيث اللفظ والاحرف الصوتية والتشكيل
والحركات والاملاء ، وكثرة انواع الخطوط العربية
اما صلاحية اللغة العربية للتدريس الجامعي فهي
حقيقية لا جدال فيها، والاسباب التي تدعو البعض الى القول
بعدم صلاحيتها : هي اما عدم الايمان باللغة العربية
لجبلها وتأثير التغلغل الفكري الاستعماري فيه .
او لاسباب أخرى هي الرغبة في السرعة بنشر
التعليم العالي وتأسيسه بسهولة تأمين الاطرار
التقنية والكتب العلمية واعتقد ان هذه الاسباب هي
التي دعت بعض الدول كتونس الى تدريس الطب
بالفرنسية ، وهي التي تدعو اللجنة المشرفة على
تأسيس كلية الطب في حلب الى الاعتماد على اللغة
الانكليزية في التدريس .

وعلى كل حال فلا يمكن لنا ان نقول بعدم
صلاحية اللغة العربية كلغة لان الحركة التي قامت

ان انتشار لغة ما ، في اعتقادي ، يتعلق
بانتماء حضارة الامة التي تتكلم تلك اللغة ، وعلاقتها
وتأثيرها على بقية حضارات الامم .

فهذا انتشرت الحضارة العربية عبر لغتها
جزءا كبيرا من العالم القديم وتعلمها وكتب بها
الاعاجم من كل جنس ولون . ولكن عندما جاءت
عصور الانحطاط وتراجعت الحضارة انحطت اللغة
معها ودالت دولتها .

تلك هي حال اللغات الاوربية فانتمائها جزء
لا يتجزأ من انتشار وتفوق الحضارة الاوربية واليوم
نجد امامنا مثلا واضحا لهذا : فالحضارة الاميريكية
تطفئ على الحضارة الفرنسية فلمس تراجعها
لهذه امام تلك ، وما كتاب ايتياسبل « هل نتكلم
الانكلوفرنسية » سوى مثل واضح على ذلك !

وعلى العكس عندما قام مصطفى كمال اتاتورك
بكتابة اللغة التركية بالاحرف اللاتينية بغية تسهيل
دراستها للاجانب ونشرها على نطاق واسع ، لم
يصل الى هدفه لان الامة التي تتعلم التركية امة
مستضعفة متخلفة .

وعندما ستصل الامة العربية الى درجة التفوق
في التقدم العلمي والفكري فلسوف نرى الاجانسب
يقبلون على تعلمها والاخذ عنها كما فعلوا في السابق
مهما كانت صعوبة اللغة وتعقيدها .

ولا أريد من قولي هذا ان التقدم الحضاري هو
السبب الوحيد لانتشار اللغات ، بل ثمة اسباب
أخرى لا تقل أهمية كالعلاقات السياسية والاقتصادية
والجغرافية وصعوبة اللغة نفسها وقابليتها التعليمية
فرغم تقدم اليابان والصين ، فلا تزال لغة تلك البلاد
قليلة الانتشار ومن اسباب عدم انتشارها صعوبة
تعلمها .

ورأى أن حل هذه المشكلات والعمل على انتشار اللغة العربية يتلخص في النقاط التالية :

- 1 - تأليف لجان خاصة من كل بلد عربي وكل فرع علمي لإصدار معجم في هذا الفرع ، شريطة أن يسحق كل عضو في نفسه كل شعور اناني فردي أو شعور قومي أو عقلية قديبة متحجرة ، واضعين نصب أعينهم خدمة اللغة العربية وابتائيا متطلعين الى لغة المستقبل (أي لغة وسطى ما بين الفصحى والعامية) لغة مرنة سهلة ذات اصطلاحات وتراكيب تنزلق بسهولة في اللغة العلمية الجامعية اليومية ولو اضطررنا الى اخذ بعض الكلمات الأجنبية كما هي كتولنا « رياقت » بدلا من داء السكري لا أن يتطلعوا الى الماضي فقط ليفرضوا على أبناء المستقبل لغة قاسية متحجرة لم يعد في استطاعتها ملازمة العصر ومتطلباته الحاسمة السريعة الدقيقة .
 - 2 - أن تطبق الدول العربية كلها هذه المصطلحات في مدارسها ومعاهدها بكل جدية وإخلاص
 - 3 - القيام بدراسات لغوية لتبسيط قواعد النحو والصرف وتقريبها من قواعد اللغات الأجنبية كل لوحدها على غرار طرائق معهد غوته بالنسبة للغة الألمانية .
 - 4 - تأسيس معاهد لتدريس اللغة العربية وآدابها في كل عاصمة أجنبية حيث تتوفر الامكانيات اللازمة .
- وان صعب تحقيق الامر عن طريق الحكومات فلا بأس من أن تقوم بهذه الجهود المجمع اللغوية او الجامعات العلمية أو حتى بعض الامراء المؤمنين بلغتهم وامكانياتها عن طريق الدعوات الفردية ، والاجتماعات الدورية ، وهذا اضعف الايمان .

بها جامعة دمشق منذ عام 1919 حتى اليوم ، ورغم عجزها عن الوصول الى المستوى المطلوب ، فانها تجربة طاقمة .

واذا لم نصل الى ما يريده لها ابناء العروبة فانسب هو أن دمشق وحدها لا تستطيع أن تتحمل عبئا ثقيلا كهذا .

ولا اعتقد ان اللغة العربية اضعف من اللغة الفنلندية او الفلانكية او العبرية في مساندة العلوم الحديثة وخدمتها ، فاللغة ليست كائنات مستقلة بذاته بل هي أداة طيعة في أيدي ابائنا ومدى تقدمها يتعلق بمدى ايمانهم بها واخلاصهم في العمل على رفعة شأنها . أما الصعاب التي تعترض طريق الاساتذة فهي في اعتقادي عائدة اما الى عدم كفاءة المقدم على الترجمة او البحث عن المصطلحات الدقيقة . فيقع في اخطاء تجر الاساتذة الآخرين على ايجاد مصطلحات أخرى، ثم تعمل الانانية والفردية عمليا فاذا بنا في كلية واحدة امام عدة اساتذة كل منهم يطلق اسما مختلفا لمسمى واحد !

أو ان الدافع القومي المحلي يعمل عمله وهذا ما حدث مثلا اثناء الوحدة بين سوريا ومصر عندما اجتمع الفريقان لتوحيد المصطلحات العسكرية .

واما ان الخلاف السياسي المستحكم بين الدول العربية يمنع تبادل الآراء عن طريق النشرات والزيارات والمؤتمرات ، وخاصة يمنع تطبيق المقررات التي يتخذها العلماء والاساتذة بشأن اللغة العربية وتقدمها وثمة فريق من العلماء يغار على لغته لدرجة انه لا يقبل أية كلمة لم ترد على لسان العرب في الجاهلية او في العصر الوسيط ويفضل الكلمة الثقيلة المستحيلة الشيوع على الكلمة الغربية السهلة التي دخلت اللغة وانتشرت على الاسن .